حديث سمو ولى العهد : نحو استراتيجية عربية موحدة « ١ »

الشعب المفصول عن نظامه باسوار من السرية والاسرار

يدفع به نظامه الى الضرب فى متاهات التعليل والتأويل

الملك فهد

الامير عبدالله ولى العهد

بقلم : ذيبان الشمرى

أ - مدخل :

تميز الحديث الذى ادلى به صاحب السمو الملكى ولى العهد المعظم للصحفى الكويتى الاستاذ احمد الجار الله بالعفوية والمباسطة والخلو من التصنع الدبلوماسى بالتواء اسلوبه وسذاجة غموضه . فحديث سموه كان صريحا واضحا ورحبا فى تقبل الاسئلة وجريئا فى الاجابة عنها .. فالسائل لم يتحرج والمسؤول لم يحرج والقارىء لم يختلف والسائل على الاقتناع باجوبة المسؤول .

وتميز الحديث ثانيا بشمولية رؤيته وبعد منظوره . فسموه لم يقتصر فى حديثه على قضايا المملكة بل انتهى منها الى التحدث عن شؤون المنطقة وشجونها ابتداء بالرباط ومرورا بالجزائر وانتقالا الى القاهرة فدمشق فبغداد فطهران .. ومن ثم التفافا حول الخليج ودول الجزيرة العربية واستطرادا الى تحديد نوعية العلاقات العربية بالدول الكبرى .

وتميز الحديث ثالثا بانتقاله من تحديد الداء الى وصف الدواء . فسموه لم يكتف باستعراض سلبيات الحاضر بل تعداها الى الاشارة الى ايجابيات الكفيلة بتحقيق مستقبل اشد تفاؤلا من حاضرنا الكئيب .

وتميز الحديث رابعا بخروجه الواضح على تقاليد اولئك الساسة الذين عودوا شعوبهم على التحدث اليها بالاحاجى والالغاز . فسموه لم يخرج فى حديثه عن التطرق الى نقاط حساسة للغاية ، نقاط استولتهاامانى الاعداء من احشاء الاكاذيب فسموه يرى ان من حق الشعب على قادته ان يعرف الحقيقة كل الحقيقة عن كل مايشاع ويذاع . فالشعب المفصول عن نظامه باسوار من السرية والاسرار ، يدفع به نظامه الى الضرب فى متاهات التعليل والتاويل .

وهكذا فان حديث سموه الانف الذكر لم يكن فقط ايضاحا للابسة ونفيا لباطل ، بل جاء قبل وفوق ذلك تصورا عريضا لاستراتيجيا عربية جديدة ، تخرج بنا من العشوائية التى تخبطنا فى ديجورها منذ قيام دولة اسرائيل حتى سقوط بيروت تحت سلاسل المجنزرات الاسرائيلية . فمنذ خمس وثلاثين سنة ونحن نتفعل بالاحداث انفعال الكسيح بالحركة .. ونرد على الافعال بردود افعال صادرة عن عقل مخنوق وارادة مشلولة تتقمص شخصية مريضة بالذهان الهذائى « برانويا » وتتارجح بين جنون الاضطهاد وجنون العظمة . لكنها كانت ومازالت تتوق فى ساعات صحوها الى الخلاص من واقعها المزرى وحاضرها المهين . لذلك كان لحديث سموه ذلك الدوى الهائل فى كل وسط وناد . فسموه صحح الكثير من المفاهيم المقلوبة وايقظ العراض من الامال بعد طويل سبات وعميق رقاد .

ب - الوفاق الضميرى :

ان اهم نقطة فى حديث سموه كان الوفاق الضميرى القائم بين شعب المملكة ونظامه . الامر الذى اشار اليه سموه فى قوله :

« لقد جربت معنا قوى كثيرة تصدير بضائعها السياسية من كل لون .. يسارية متطرفة او معتدلة .. كل انواع البضائع التى زحمت سوق السياسة العربية ثم وجدوا ان ذلك غير مقبول لدى المجتمع السعودى

والحق ان الوفاق الضميرى يتقدم الوفاق العقلانى ويتميز عنه بكونه تابعا من الحدس السابق لكل تجربة وحس . انه تعقل المؤمن وايمان المتعقل ، فمنه ينطلق واليه يعود .. لذلك فان كل استقرار وازدهار وانتصار مشروط بالوفاق الضميرى بين الشعب ونظامه .. اضف الى ذلك ان وحدة الامة بالذات مشروطة بالوفاق الضميرى بين ابنائها . فمن الوفاق الضميرى يتولد الحس الجماعى المستولد لفضائل الجماعة من غيرة ونخوة وشهامة وتضحية تلتقى فى الغيرية والخيرية فالعطاء . لذلك كان سمو ولى العهد موفقا كل التوفيق فى استهلاله لحديث بالتحدث عن الوفاق الضميرى الذى تعيشه المملكة شعبا ونظاما .

ج - الحوار والوفاق :

لاجدال ان الحوار هو السبيل الوحيد للحفاظ على كل نوع من انواع الوفاق ، ولاسيما الوفاق بين الشعب ونظامه . فالحوار وحده ، الحوار بين ركنى النظام وبين الامة ، هو الذى يبقى الامة ملتصقة بالنظام والنظام متفاعلا والامة ، الامر الذى تتجلى من خلاله عبقرية الامة ابداعا وحضارة . لذلك فان انقطاع الحوار بين الامة وبين النظام يعنى فقط انسلاخ الامة عن النظام واغتراب النظام عن الامة وبالتالى انحلال الدولة امة ونظاما .

ولذلك نرى النظام القائم فى المملكة يرى فى الحوار المظهر الاساسى لجدليته ، الامر الذى عبر عنه سمو ولى العهد فى حديثه حيث قال :

« لقد تحاورت مع بعض الشبان الذين جرفتهم بعض التيارات السياسية . وجلسنا سويا جلسات مكاشفة لقد كان هؤلاء الفتية كما يقولون يرفعون شعار التحرر .... هم انفسهم لم يلبثوا ان بدأوا يتساءلون التحرر ممن ؟! هل هناك قوى اجنبية تحتل المملكة بالطبع لا ... »

ولكن كى يكون ثمة حوار ينبغى ان يكون ثمة لقاء بين طرفين او اكثر .. فعدم توفر هذا الشرط يعنى تحول الحوار الى « الديالوج » الى مونالوج ، الامر الذى نشهده فى بعض الدول من متعسكرة وثورية ، حيث يقبع ارباب انظمتها وراء اسوار من الجند والدبابات والحجاب ، وحيث يتركون للمباحث والمخابرات ان تكون اقنيتهم والسنتهم فى الحوار وشعوبهم .

والحق يقال ان النظام القائم فى المملكة يتميز عن جميع الانظمة فى المنطقة من حيث كون ابواب المسؤولين مشرعة امام كل مواطن .. فصوت المواطن السعودى لاتخنقه حجبة حاجب ولاضجيج جهاز .

فالمسؤولون السعوديون لم يستعيضوا بعد عن الاذان بالعيون ولاعن المشاهدة بالسماع . ففى مجالس ال سعود المفتوحة امام كل طارق ، تلتقى العين بالاذن داخل دائرة الضوء وتحت مجهر الحقيقة ، الامر الذى يحافظ على التصاق الامة بالنظام وعلى تفاعل النظام والامة ويحول دون اية محاولة ترمى الى سلخ الامة عن النظام ، والى اغتراب النظام عن الامة .

د - وحدة العقيدة :

ومن نعم الله على المملكة ، لابل وعلى المنطقة وكذلك على العالم كافة ، ان المادية فلسفة وانظمة وايدلوجيات ومناهج ، قد اخذت ، منذ بداية النصف الثانى من هذا القرن ، تنحسر امواجا وتنجزر مدا ، وبتسارع غير مالوف تاريخيا فى زخومية ومقياس سرعته . فالعودة الى الايمان بالله وبالدين ، هى اليوم الظاهرة الرئيسية فى العالم مجتمعات وانظمة ودولا ، ويجدر بى هنا ان انوه بدور المملكة فى التصدى بشجاعة المؤمن لتلك التيارات الهدامة التى عصفت بالمنطقة العربية والشرق اوسطية وبحركات التحرر الافريقية والاسيوية طوال الخمسينات والستينات من هذا القرن . حيث طغت المادية على كل منهج وامست المنبع لكل مذهب ، وغدا القابض على دينه كالقابض على الجمر . وحيث كانت المملكة يومذاك الدولة الوحيدة فى المنطقة التى رفعت راية الاسلام ونادت به دينا ونظاما اجتماعيا اوحدا ، يقوم على التوفيق بين متطلبات الجسد وتطلعات الروح ، ويوفر له جميع فرص التسامى الى بارئه ، من خلال حواره المستمر مع الكون .

والحق ان تلك الحقبة التى مرت بها المملكة ، كانت من امجد حقب تاريخها ، اذ انها كانت منارة الايمان فى محيط العبث والالحاد فلاغرو اذن حينما نقرا فى حديث سمو ولى العهد وقوله التالى :

لقد فشلت كل تلك الالوان المتعددة من ان تؤثر على تماسك الجبهة الوطنية السعودية .. فالمجتمع السعودى يختلف عما هو الحال فى المجتمعات الاخرى . هنا مجتمع معتز بعقيدته .. حتى البعض وهو بعض قليل ممن يكاد التيار ان يجرفهم تشدهم مرة اخرى صلابة العقيدة .

لاخلاف ان وحدة العقيدة يعنى توحيد الجهود وانصبابها على وحدة الهدف وبلوغه وتعنى ايضا التنسيق بين الغايات والاتفاق على الوسائل ، واستلهام الضمير فى النية والفعل وتجنب الصراعات الهامشية والمعارك الجانبية .. وفى هذا يقول سمو ولى عهد المملكة مايلى :

« فى المملكة لدينا خطة مضمونة العقيدة الاسلامية ، وطالما نحن متمسكون بها فان المخاطر غير واردة وليس لدينا شهوات للسلطة تخلق صراعات بين شخصيات الحكم فلكل منا دور فى تامين استقرار بلده وخدمة شعبه .

اضف الى ذلك ان وحدة العقيدة تعنى التراحم بين ابناء الامة الواحدة والتعاطف بين جماعاتها والتعاون بين مجتمعها ودولتها ، الامر الذى يعنى فقط رسوخ النظام اساسات وهيكلا وبنيانا وتغليف المجتمع بغلاف من المحبة والكرامة والعدل .. معاشيا وحياتيا ..

وفى هذا يقول سموه مايلى :

« ان السعودية بلد اكرمه الله بالخير .. وهو خير سيعم الجميع .. ان العدالة الاجتماعية هى التى فى نظرى يجب تعززها حتى يستمر تماسك الجبهة الداخلية .. بالطبع هناك موضوع لانقاش فيه .. وهو العقيدة والتى يعود اليها الفضل فى حماية الوطن السعودى .. اى حياد عن طريقها ستكون له مضاره .. وطالما تمسك الناس هناك بامور دينهم فانني اعتقد انهم فى حماية اقوى قوة وهى الحماية الالهية .. هذا الى جانب الالتصاق الدائم بالشعب ..

تلك عجالة من نظرة الى اهم القواعد الضميرية والمبادىء الوجدانية النابعة من العقيدة الاسلامية والواردة فى حديث سمو ولى العهد ، والتى يرتكز اليها مجتمع المملكة ونظامها . فماهى المبادىء الاساسية لسياسة المملكة فى الحقول العربية والاسلامية والدولية ؟

هـ - ادوار المملكة :

جاء فى حديث سمو ولى العهد ان للمملكة ادوارا ثلاثة فى سياستها وقال انها الدور القومى والدور الاسلامى والدور العالمى . فماهو الدور القومى وماهى اهدافه الاستراتيجية ، وماهو التكتيك الذى يمكننا من بلوغ تلك الاهداف ؟

١ - الدور القومى :

لم يعد خافيا على احد ان المملكة العربية السعودية قد اتخذت من التضامن العربى هدفا استراتيجيا اساسيا لسياستها العربية . ولذلك نهجت منذ ان عرفت الدولة السعودية الحديثة طريقها الى التاريخ ، سياسة توفيقية بين الدول العربية ، الامر الذى جعلها كما نرى ويرى الجميع تقوم بدور الاطفائى فى العالم العربى .

وهكذا شاهدنا جلالة الفهد يبذل قصارى جهده للتوفيق بين المملكة المغربية والجمهورية الجزائرية ، ورأينا سمو ولى عهده الامين يقوم بتوجيهات من جلالته برحلاته المكوكية بين دمشق وبغداد . ورأينا العديد من اركان الدولة السعودية يسارعون الى كل بقعة من بقاع العالم العربى ، قبل وحالما تندلع الخلافات بينهاني . والحق انه ليس للمملكة بديل للقيام بالدور التوفيقى الذى تمارسه . وان السبب فى ذلك يعود الى ايمان جميع الاطراف العربية بانه ليس للمملكة اى غاية شخصية او هدف ذاتى ، ماعدا وحدة الامة العربية كلمة وهدفا . الامر الذى يجعل من الصعب ، لابل من المستحيل على المملكة ان تفهم او تتفهم اثر العنعنات الشخصية والخلافات الحزبية فى تحديد اتجاه الامة ورسم مسارها . فالمترفع بطبيعته فوق الاهواء الذاتية والمتسامى فوق الحزازات الحزبية والمالحكات الايديولوجية ، لايستطيع عقله ان يجد لاى انحراف عن الجادة تبريرا او تعليلا او تاويلا . وهكذا نرى الالم يعتصر سمو ولى العهد من خلال كلماته الآتية :

« عندما قررت المملكة ان تدخل وسيطا بين العراق وسوريا قلت اعطوني سبب الخلاف ووجدت نفسى ادخل فى متاهات خلافات حزبية ..

ويقول سموه فى مكان اخر من حديثه مايلى :

« نفس السؤال اطرحه على نفسى .. نجلس مع بعض كادوات للحكم فى عالمنا العربى ونشعر ان الرؤية واضحة فيما بيننا وكذلك ماهو مطلوب .. ونتساءل لماذا لانطبق مانفكر فيه وماهو واضح الرؤية امامنا ؟ لكن لانلبث ان نصطدم بما يحدث عكس مانعتقد .. من جانبى اقول ان هناك قوى اجنبية تلعب فى هذا العالم العربى .. وهناك من رضى ان يكون اداة لها بارادة او بصدفة ..

لقد اصاب سمو ولى العهد كبد الحقيقة بقوله المذكور اعلاه . فالنظام ، لابل كل نظام ينسلخ عن شعبه يفتش عن الدفء فى احضان الاجنبى . ويلتمس القوة على شعبه لدن من يتلاعب به تلاعب الاقدام بالكرة .

والى اللقاء فى مقالة قادمة نتطرق فيها الى دورى المملكة الاسلامى والعالمى ، كما جاء وصفها على لسان سمو ولى العهد المعظم ..

« ٢ » ادوار

بارزة تشكل محاور سياسة المملكة

صوت المواطن السعودى لاتخنقه جعجعة حاجب ولا ضجيج جهاز

« الوفاق الضميرى » بين شعب المملكة ونظامه أهم نقاط حديث سمو ولى العهد